

حياة الامام البخاري - والتعريف بجامعة الصحيح

ماجد عدنان محمد القيسي

أسماء علي بشير أحمد

جامعة الموصل كلية التربية للعلوم الإنسانية

جامعة الموصل كلية التربية الأساسية قسم

قسم علوم القرآن

التربية الإسلامية

(قدم للنشر في ١/٣/٢٠٢١، قبل للنشر في ١٣/٤/٢٠٢١)

الملخص

يتناول البحث حياة الامام البخاري - الشخصية والعلمية وثناء العلماء عليه، ثم التعريف بجامعة الصحيح من حيث سبب تصنيفه والزمن الذي استغرقه التصنيف ثم اسم كتابه وشرطه فيه ثم مكانة الجامع الصحيح واهتمام العلماء فيه، وطريقة تصنيفه له.

The life of Imam Al-Bukhari - and the definition of the correct university

Asma Ali Bashir Ahmed
University of Mosul, College of
Basic Education, Department of
Islamic Education

Majed Adnan Muhammad
University of Mosul, College of
Education for Human Sciences
Department of Quran Sciences

Abstract:

The study deals with Imam al-Bukhari's personal and scientific life and the scholars' praise for him. Also, it presents the definition of his correct mosque in terms of the reason for its classification and the time that the classification took. Then, the name of his book and its condition has been stated, followed by the status of the right mosque and the interest of scholars in it, with the way to classify it.

بسم الله الرحمن الرحيم

المقدمة

الحمد لله رب العالمين حمدا كثيرا كما يحب ويرضى، والصلاة والسلام الأتمان الأكملان على خير الورى سيدنا محمد وعلى آله وأصحابه انوار الهدى ومصابيح الدجى.
وبعد ..

فان مما يقوي ايمان الانسان ويشحذ همته ويصيب بركته الاطلاع على سير العظماء الذين صنعهم الإسلام، فكانت رسالته لهم حياة فاصبحوا لمن بعدهم هدى ونور.
هؤلاء العظماء الذين صنعهم الله على عينه واکرمهم بهبات وعطايا سخروها لوجهه الكريم ولخدمة دينه القويم فوقهم ربهم في مساعيهم وبارك جهودهم فأحيا بهم سنة نبيه ﷺ، ومن ابرزهم شأناً واعلامهم قدراً وابعدهم شأواً: الامام محمد بن إسماعيل البخاري - أمير المؤمنين في الحديث وصاحب أصح كتاب بعد كتاب الله تعالى، واصح مصنف صنفه بشر على الإطلاق، جمع فيه أحاديث الصادق المصدوق ﷺ وتحرى أعلى درجات الصحة في كل ما أسند منها في مصنفه، فكان كتابه المرجع الأول في الحديث بشكل عام والاحاديث الصحيحة على وجه الخصوص، جمع في صحيحه كل فنون العلم من الفقه والتفسير والمغازي والسير، فجاء هذا البحث ليلقي الضوء على سيرة هذا الامام الجليل وكتابه المبارك، وتضمنت خطة البحث مبحثين:

المبحث الأول: حياة الامام البخاري - الشخصية والعلمية وثناء العلماء عليه، وفيه مطالب:
المطلب الأول: حياته الشخصية.

المطلب الثاني: حياته العلمية.

المطلب الثالث: أقوال العلماء في الامام البخاري - وثناءهم عليه.

المبحث الثاني: التعريف بالجامع الصحيح للامام البخاري -، وفيه مطالب:
المطلب الأول: بدء تدوين السنة .

المطلب الثاني: سبب تصنيفه للصحيح والزمن الذي استغرقه.

المطلب الثالث: تسمية الصحيح وشرطه فيه.

المطلب الرابع: مكانة الصحيح وطريقة تصنيفه.

المبحث الأول: حياة الامام البخاري - الشخصية والعلمية:

لِعِظَم دور الامام البخاري - في الصناعة الحديثية وعلوم الحديث، وللمكانة العليا التي اكتسبها لكون كتابه (الجامع الصحيح) اصح دواوين السنة على الاطلاق؛ فقد ترجم له وتناول سيرته كثير من كتب التراجم والسير واسهبوا فيها بذكر فضائله ومآثره، وقد افردوا آخرون بتصانيف مستقلة.

وعلى هذا فلا يبالغ من قال: "أن استيفاء ترجمة الامام البخاري - يحتاج إلى أوقات كثيرة، واستقراء مواد وفيرة، يقل دونها مجلد ضخم، إلا أن ما لا يدرك كله لا يترك جُلُه..، وهذا ما نتوخاه في هذه الورقات، مستعينين بفاطر الأرض والسماوات^(١)".

المطلب الأول: حياته الشخصية

اولاً: اسمه ونسبه

هو مُحَمَّد بن إِسْمَاعِيل بن إبراهيم بن المغيرة ابن بردزبه^(٢) البُخاري^(٣) مولدًا، الجعفي ولاء^(٤)،

(١) حياة البخاري: محمد جمال الدين القاسمي: ١٣.

(٢) بردزبه: بياض موحدة مفتوحة، ثم راء ساكنة، ثم دال مهملة مكسورة، ثم زاي ساكنة، ثم باء موحدة، ثم هاء، وهو بالبخرية، ومعناه بالعربية: الزراع، وكان بردزبه فارسيًا على دين قومه. ينظر: الإكمال في رفع الارتباب عن المؤلف والمختلف في الأسماء والكنى والأنساب: سعد الملك، أبو نصر علي بن هبة الله بن جعفر بن ماکولا: ٢٥٨/١، وتهذيب الأسماء واللغات للإمام النووي: أبو زكريا محيي الدين يحيى بن شرف النووي: ٨٦/١.

(٣) نسبة الى بخارى: وهي من أعظم مدن خراسان وبلاد ما وراء نهر جيحون، وتبعد عنه يومان، واسمها مشتق من كلمة بخار المغولية، وهي تعنى: العلم الكثير، وسميت بهذا الاسم؛ لوجود كثير من العلماء فيها ومنهم الامام البخاري. وبخارى هي الآن احدى ولايات جمهورية أوزبكستان فى آسيا الوسطى. ينظر: معجم البلدان: شهاب الدين أبو عبد الله ياقوت بن عبد الله الرومي الحموي: ١/ ٣٥٣، وموسوعة سفير للتاريخ الإسلامي: عبد الشافي محمد عبد اللطيف: ١٠٣/١١.

(٤) الولاية بالفتح لغة القرابة، وشرعا: التناصر والتعاون بسبب قرابة حكمية، والولاية على ثلاثة أقسام: الأول: ولاء العتق(ولاء النعمة): وهو الغالب بحيث ينسب الرجل إلى قبيلة من أعتقه، الثاني: ولاء الحلف(ولاء الموالاة): وذلك بأن يكون الشخص حليفا لقبيلة فينسب إليها، الثالث: ولاء الإسلام: وذلك بأن يسلم الرجل على يد الرجل او

فقد اسلم المغيرة بن بردزبه على يدي يمان الجعفي والي بخارى، ومن هنا جاءت نسبة البخاري اليه لأنه مولاه من فوق -ولاء اسلام-(١).

ثانيا: ولادته ونشأته

ولد الامام البخاري --- يوم الجمعة بعد صلاة الجمعة لثلاث عشرة ليلة خلت من شهر شوال من سنة أربع وتسعين ومئة (٢).

توفي والده وهو صغير فنشأ يتيما في بيت علم وتقى، اذ كان أبوه من طلاب العلم الورعين، ترجم له ابنه في تاريخه الكبير فقال: "اسماعيل بن إبراهيم بن المغيرة الجعفي أبو الحسن، رأى حماد بن زيد وصافح ابن المبارك بكلتا يديه وسمع مالكا (٣). ونقل عنه عند موته انه قال: لا أعلم في جميع مالي درهما من شبهة(٤).

الاعجمي على يد العربي. ينظر: معجم مقاييس اللغة: أحمد بن فارس بن زكرياء القزويني الرازي، أبو الحسين: ١٤١/٦، والتقريب والتيسير لمعرفة سنن البشير النذير في أصول الحديث: أبو زكريا محيي الدين يحيى بن شرف النووي: ١٢٢ ، وأنيس الفقهاء في تعريفات الألفاظ المتداولة بين الفقهاء: قاسم بن عبد الله بن أمير علي القونوي الرومي الحنفي: ٩٨ ، والكلبيات معجم في المصطلحات والفروق اللغوية: أيوب بن موسى الحسيني القريمي الكفوي، أبو البقاء الحنفي: ٩٤١.

(١) ينظر: تاريخ بغداد وذيوله: أبو بكر أحمد بن علي بن ثابت بن أحمد بن مهدي الخطيب البغدادي : ٦/٢ ، والتقريب والتيسير لمعرفة سنن البشير النذير في أصول الحديث: ١٢٢ ، وتهذيب الأسماء واللغات: ٦٧/١.

(٢) تاريخ بغداد وذيوله : ٦/٢ .

(٣) ينظر: التاريخ الكبير: محمد بن إسماعيل بن إبراهيم بن المغيرة البخاري، أبو عبد الله: ٣٤٢/١، وسير أعلام النبلاء: شمس الدين أبو عبد الله محمد بن أحمد بن عثمان بن قايماز الذهبي: ٣٩٢/١٢ .

(٤) تاريخ الإسلام ووفيات المشاهير والأعلام: شمس الدين أبو عبد الله محمد بن أحمد بن عثمان بن قايماز الذهبي: ١٤٠/٦.

وربته أمه وكانت من الصالحات، فقد ذهبت عينا ابنها محمد في صغره فكانت تلهج بالدعاء له، فرأت في المنام إبراهيم الخليل عليه السلام فقال: يا هذه قد رد الله على ابنك بصره لكثرة دعائك أو لكثرة بكائك، فأصبح وقد رد الله عليه بصره^(١).

ورغم ان والد الامام البخاري - كان يكنى بابي الحسن الا انه لم تؤكد النقول ان له ولدا اسمه الحسن، لكن الامام البخاري - ذكر ان له أبا اسمه أحمد كانا قد ذهبنا معاً بصحبة والدتهما الى الحج ورجع بها أخاه الى بخارى، وبقي هو في مكة لطلب العلم^(٢).

ثالثاً: كنيته وحياته الاجتماعية:

كني الامام البخاري - بأبي عبد الله، ولم ينقل عنه انه اعقب ولداً اسمه عبد الله، بل نقل عنه انه لم يعقب ذكراً، قال الحاكم: "وأما البخاري، ومسلم فإنهما لم يعقبا ذكراً"^(٣)، ولم تؤكد النقول إنه قد تزوج الا مانقل عن الذهبي في قصة طويلة جرت بين الامام البخاري - ووراقه، وقول: الامام البخاري - له: "لي جوار وامرأة، وأنت عزب"^(٤)، اما ما ذكر من كنيته فلعلها جريا على عادة العرب ومن خالطهم قديما في تكنية أولادهم منذ الصغر.

رابعاً: ما اتصف به من جميل الخصال:

١- عبادته وتحريه السنة:

كان الامام البخاري شديد الحرص على عبادة الله بما أمر بالفرائض والنوافل، هائناً قرير العين بها، سائراً في ذلك على هدي النبي ﷺ عندما قال ﷺ: "يَا بِلَالُ أَقِمِ الصَّلَاةَ أَرْحَنًا"

(١) ينظر: طبقات الحنابلة: أبو الحسين محمد ابن أبي يعلى: ٢٧٤ / ١ ، وتهذيب الكمال في أسماء الرجال: يوسف بن عبد الرحمن بن يوسف، أبو الحجاج، جمال الدين ابن الزكي أبي محمد القضاعي الكلبي المزني: ٢٤ / ٤٤٥ . تاريخ الإسلام ووفيات المشاهير والأعلام: ١٤٠ / ٦ .

(٢) ينظر: تاريخ بغداد وذيوله : ٧ / ٢ . وتهذيب الكمال في أسماء الرجال ٤٣٩ / ٢٤ - ٤٤٠ .

(٣) معرفة علوم الحديث: أبو عبد الله الحاكم محمد بن عبد الله بن محمد النيسابوري المعروف بابن البيع: ٥١ .

(٤) سير أعلام النبلاء : ١٢ / ٤٥١ ، و تاريخ الإسلام ووفيات المشاهير والأعلام: ١٤٠ / ٦ .

بها" (١)، فيروى عنه انه إذا كان أول ليلة من شهر رمضان يجتمع إليه أصحابه فيصلي بهم ويقرأ في كل ركعة عشرين آية. وكذلك إلى أن يختم القرآن، وكان يقرأ في السحر ما بين النصف إلى الثلث من القرآن فيختم عند السحر في كل ثلاث ليال، وكان يختم بالنهار كل يوم ختمة، وتكون ختمة عند الإفطار كل ليلة، ويقول: "عند كل ختم دعوة مستجابة".

ودعي ذات يوم إلى بستان بعض أصحابه، فلما حضرت صلاة الظهر صلى بالقوم ثم قام للتطوع، فأطال القيام فلما فرغ من صلاته رفع ذيل قميصه فقال لبعض من معه: انظر هل ترى تحت قميصي شيئاً فإذا زنبور قد أبره في ستة عشر أو سبعة عشر موضعاً وقد تورم من ذلك جسده، وكان آثار الزنبور في جسده ظاهرة، فقال له بعضهم: كيف لم تخرج من الصلاة في أول ما أبرك؟ فقال: كنت في سورة فأحببت أن أتمها! (٢).

وقال محمد بن أبي حاتم الوراق^٣: "كان أبو عبد الله إذا كنت معه في سفر يجمعنا بيت واحد إلا في القبط أحياناً فكنت أراه يقوم في ليلة واحدة خمس عشرة مرة إلى عشرين مرة في كل ذلك يأخذ القداحة فيوري ناراً بيده، ويسرح، ثم يخرج أحاديث فيعلم عليها، ثم يضع رأسه. وكان يصلي في وقت السحر ثلاث عشرة ركعة يوتر منها بواحدة، وكان لا يوقظني في كل ما يقوم. فقلت له: إنك تحمل على نفسك كل هذا ولا توقظني؟ قال: أنت شاب فلا أحب أن أفسد عليك نومك. ورأيت استلقى على قفاه يوماً ونحن بفربر في تصنيف كتاب "التفسير" وكان أتعب نفسه في ذلك اليوم في كثرة إخراج الحديث. فقلت له: يا أبا عبد الله سمعتك تقول يوماً: إني ما أتيت شيئاً بغير علم قط منذ عقلت، فأني علم في هذا الاستلقاء؟ فقال: أتعبنا أنفسنا في هذا اليوم، وهذا ثغر من الثغور خشيت أن يحدث حدث من أمر العدو فأحببت أن استريح وأخذ أهبة ذلك، فإن عافصنا العدو كان بنا حراك (٤).

٢- ورعه:

(١) سنن أبي داود: أبو داود سليمان بن الأشعث بن إسحاق بن بشير بن شداد بن عمرو الأزدي السجستاني، كتاب الأدب- باب في صلاة العتمة، ح رقم (٤٩٨٥): ٢/٢٩٦.

(٢) تهذيب الكمال في أسماء الرجال: ٤٤٦/٢٤-٤٤٧.

(٣) أبو جعفر محمد بن أبي حاتم البخاري النحوي الوراق، وهو وراق الامام البخاري وممن روى عنه، وله كتاب (شمائل البخاري) وهو جزء ضخم كما يقول الامام الذهبي، ولم اعثر له على سنة ولادة او وفاة، ينظر: تهذيب الكمال في أسماء الرجال ٢٤/٤٣٥، وسير أعلام النبلاء: ١٢/٣٩٢.

(٤) تهذيب الكمال في أسماء الرجال: ٤٤٧/٢٤-٤٤٨.

كان الامام البخاري --- يجتهد في العمل بالعلم فيتحرى من الاعمال ما كان طيبا ويجتنب المنكر، وكان لشدة ورعه وبعده عن الكلام في أعراض الخلق، يقول: "إني أرجو أن ألقى الله ولا يحاسبني أنني اغتبت أحدا"^(١).

كان ايضا شديد الورع في المال والكسب، ولم يكن يغضب لذم ولا يفرح بمدح، فقد كان يحلف أن المادح له والذام من الناس هما عنده سواء، وكان لا يتكلف التواضع، بل هو فيه سجية^(٢).

خامسا: مذهبه الفقهي:

حفظ الامام البخاري --- موطأ الامام مالك منذ صغره، وتفقّه في نشأته على مذهب أبي حنيفة، وهو مذهب أهل بلده بخارى، واخذ العلم عن أصحاب المذهب الشافعي وروى عنهم ومنهم الحميدي، وعاصر امام المذهب الحنبلي احمد ابن حنبل ولقيه.

ولهذا السبب فقد تجاذبه أهل كل مذهب لإثبات أنه كان على مذهبهم بل أن الشافعية والحنابلة ترجموا له في طبقاتهم^(٣)، ولكن الصواب أنه بلغ رتبة الاجتهاد، وكان مجتهدا مطلقا في الفقه، فقد ملك أدواته، فصار يستنبط الأحكام بنفسه من الكتاب والسنة، وله اختيارات خاصة في الفقه تظهر من تراجم أبواب صحيحه^(٤).

(١) طبقات الحنابلة: ٢٧٦/١.

(٢) ينظر: المدخل إلى صحيح البخاري: محمد أبو الهدى اليعقوبي: ٤٤.

(٣) ينظر: طبقات الحنابلة: ٢٧١/١-٢٧٩، وطبقات الشافعية الكبرى: تاج الدين عبد الوهاب بن تقي الدين السبكي: ٢١٢/٢-٢٤٠.

^٤ المجتهد المطلق، وهو صاحب الملكة الكاملة في الفقه، والنباهة، وفرط البصيرة، والتمكن من استنباط الأحكام من أدلتها. ينظر: المدخل إلى دراسة المذاهب الفقهية: على جمعة محمد: ٩٥.

(٥) ينظر: الامام البخاري وصحيحه: عبد الغني عبد الخالق: ١٤٤، والمدخل إلى صحيح البخاري: ٤٣.

سادسا: وفاته:

توفي ليلة السبت عند صلاة العشاء ليلة الفطر ودفن يوم الفطر بعد صلاة الظهر يوم السبت لغزة شوال من سنة ست وخمسين ومِئتين، عاش اثنتين وستين سنة إلا ثلاثة عشر يوماً، وقبره بخرتنتك -قرية من قرى سمرقند على فرسخين منها- (١).

وقد روي أن احد الصالحين رأى النبي صلى الله عليه وسلم في النوم ومعه جماعة من أصحابه وهو واقف في موضع - ذكره- ، قال: فسلمت عليه فرد السلام، فقلت ما وقوفك يا رسول الله؟ فقال: أنتظر محمد بن إسماعيل البخاري. فلما كان بعد أيام بلغني موته، فنظرنا فإذا هو قد مات في الساعة التي رأيت النبي صلى الله عليه وسلم فيها (٢).

المطلب الثاني: حياته العلمية

أولاً: طلبه للعلم ورحلاته:

أُلهم الإمام البخاري - حفظ الحديث وهو في الكتاب ولم يناهز سنه العشر ، ثم خرج من الكتاب بعد العشر فاختلف في بلده بخارى إلى الداخلي وغيره، وكان من شدة حفظه وحدة نكائه أن صحح سند حديث لشيخه ذات مرة فانتهره، ثم ما إن رجع شيخه إلى الأصل الذي كان عنده فإذا هو كما قال تلميذه البخاري وكان إذ ذاك ابن إحدى عشرة، ولما بلغ ست عشرة سنة حفظ كتب ابن المبارك ووكيع وغيرهم، ثم خرج مع أمه وأخيه أحمد إلى مكة، فلما حجوا رجع أخوه بأمه، وتخلف هو في طلب الحديث، فلما بلغ ثمان عشرة جعل يصنف في فضائل الصحابة والتابعين وأقوالهم، وصنف كتاب التاريخ إذ ذاك عند قبر الرسول صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ في الليالي المقمرة، ولم يستوعب التاريخ الكبير جميع علم البخاري بالرجال، فعلمه بالرجال أغزر وحفظه للأخبار أوسع مما ذكر الا انه اقتصر على ما كتب كراهة تطويل الكتاب (٣).

(١) الثقات محمد بن حبان بن أحمد بن حبان بن معاذ بن مَعْبُد، التميمي، أبو حاتم، الدارمي، البُستي: ٤٦٩/٥، تاريخ بغداد وذيوله: ٦/٢ .

(٢) ينظر: تاريخ بغداد: ٣٣/٥.

(٣) ينظر: تاريخ بغداد وذيوله: ٧/٢ . وتهذيب الكمال في أسماء الرجال ٤٣٩/٢٤-٤٤٠.

ثم رحل-- في طلب العلم إلى سائر محدثي الأمصار، وكتب بخراسان، والجال، ومدن العراق كلها، وبالجاز والشام ومصر^(١).

ثانيا: حفظه ونبوغه وهمة في طلب العلم:

روي عن الامام البخاري - قوله: "أحفظ مئة ألف حديث صحيح، واحفظ مئتي ألف حديث غير صحيح"^(٢)، وقال - : "رُبَّ حديث سمعته بالبصرة كتبتة بالشام، و رُبَّ حديث سمعته بالشام كتبتة بمصر"^(٣).

ويروى عن حاشد بن إسماعيل انه قال: "كان أبو عبد الله بن إسماعيل يختلف معنا إلى مشايخ البصرة وهو غلام فلا يكتب حتى أتى على ذلك أيام، وكنا نقول له: إنك تختلف معنا ولا تكتب فما معنك فيما تصنع؟ فقال لنا بعد ستة عشر يوما: إنكما قد أكثرتما على وألححتما، فأعرضا علي ما كتبتما. فأخرجنا ما كان عندنا، فزاد على خمسة عشر ألف حديث، فقرأها كلها عن ظهر قلب حتى جعلنا نحكم كتبنا على حفظه، ثم قال أترون أني أختلف هدرا وأضيع أيامي؟ فعرفنا أنه لا يتقدمه أحد"^(٤).

"ولما قدم بغداد، وسمع أصحاب الحديث بقومه، اجتمعوا، وعمدوا إلى مائة حديث، فقلبوا متونها وأسانيدها، وجعلوا متن هذا الإسناد لإسناد آخر، وإسناد هذا المتن لمتن آخر، ودفعوها إلى عشرة أنفس، لكل رجل عشرة أحاديث، فلما اطمان المجلس بأهله، انتدب إليه رجل من العشرة، فسأله عن حديث من تلك الأحاديث، فقال: لا أعرفه، فسأله عن آخر، فقال لا أعرفه، حتى فرغ من العشرة، والبخاري يقول: لا أعرفه، فأما العلماء فعرفوا بإنكاره أنه عارف، وأما غيرهم فلم يدركوا ذلك منه. ثم انتدب رجل آخر من العشرة، فكان حاله معه كذلك، ثم انتدب آخر بعد آخر إلى تمام العشرة، والبخاري لا يزيدهم على قوله: لا أعرفه. فلما فرغوا، التفت إلى الأول منهم فقال:

(١) تاريخ بغداد وذيوله : ٥/٢ . وتهذيب الكمال في أسماء الرجال: ٤٣١ / ٢٤ .

(٢) طبقات الحنابلة : ٢٧٥/١ ..

(٣) تهذيب الكمال في أسماء الرجال: ٤٤٦/٢٤ .

(٤) طبقات الحنابلة: ١٧٦/١-١٧٧.

أما حديثك، فهو كذا، والثاني كذا، على النسق إلى آخر العشرة، فردّ كلّ متن إلى إسناده، وكل إسناد إلى متنه، ثم فعل بالباقيين مثل ذلك، فأقرّ الناس له بالحفظ، وأذعنوا له بالفضل^(١).
"وكان أهل المعرفة من أهل البصرة يعدون خلفه في طلب الحديث وهو شاب حتى يغلبوه على نفسه ويجلسوه في بعض الطريق، فيجتمع عليه ألوف أكثرهم ممن يكتب عنه، وكان البخاري عند ذلك شابا لم يخرج شعر وجهه"^(٢).

ثم عندما قدم البصرة بعدها وكان وقتها شابا لم يكن في لحيته شيء من البياض نادى مناد بقدمه حتى تجمع الناس حوله وهو يصلي في المسجد ثم سأله أن يعقد لهم مجلس الإملاء فأجابهم على ذلك بأن يجلس غدا في موضع حدده لهم. قال: فلما أن كان بالغداة حضر الفقهاء والمحدثون والحفاظ والنظار حتى اجتمع قريب من كذا وكذا ألفا. فجلس البخاري للإملاء فقال قبل أن أخذ في الإملاء: يا أهل البصرة، أنا شاب وقد سألتهموني أن أحدثكم وسأحدثكم بأحاديث عن أهل بلدكم تستفيدون الكل. فبقي الناس متعجبين من قوله، ثم أخذ في الإملاء فيروي لهم حديثا بإسناده ثم يقول لهم: هذا ليس عندكم إنما عندكم عن غير فلان، ثم يروي الحديث نفسه بسنده عن أهل البصرة، وأملى عليهم مجلسا على هذا النسق، يقول في كل حديث روى فلان هكذا، والحديث عندكم كذا، فأما من رواية فلان فليس عندكم أو كلاما ذا معناه^(٣).

قال محمد بن أبي حاتم: "قلت لأبي عبد الله محمد بن إسماعيل: تحفظ جميع ما أدخلت في المصنف؟ قال لا يخفى على جميع ما فيه"^(٤).

وكان مع جودة حفظه -- -- حريصا على ان لاتقوته فائدة الا ويدونها في أي وقت تخطر له وعلى أي حال كان، فقد روي عن محمد بن يوسف الفريزي قوله: "كنت عند محمد بن إسماعيل البخاري بمنزله ذات ليلة فأحصيت عليه أنه قام وأسرج يستنكر أشياء يعلقها في ليلة ثماني عشرة مرة"^(٥).

(١) شذرات الذهب في أخبار من ذهب: عبد الحي بن أحمد بن محمد ابن العماد العكري الحنبلي، أبو الفلاح:

٢٤ / ١.

(٢) طبقات الحنابلة: ١٧٧/١.

(٣) ينظر: تاريخ بغداد وذيوله : ١٥/٢ - ١٦ .

(٤) المصدر السابق : ١٠/٢ .

(٥) تهذيب الكمال في أسماء الرجال ٤٤٧/٢٤ - ٤٤٨ .

ثالثاً: شيوخه:

بكرَّ الامام البخاري - في سعيه لتحصيل العلم - كما قدمنا-، إذ ابتدأ بطلبه وله عشر سنين وورد على المشايخ وله إحدى عشرة سنة، وقد ساهم بكور الطلب إضافة لرحلاته واسفاره العلمية في كثرة سماعه وكثرة مشايخه وأخذ الحديث عن مشاهير الحُفَّاظ^(١).

فقد روي عنه - انه قال: "كتبت عن ألف شيخ وأكثر، ما عندي حديث إلا أذكر إسناده"^(٢).

ولا يتسع المقام لإحصاء ما ذكر من اسامي مشايخ الامام البخاري - بل سنذكر المشهورين من أئمة الحديث الاعلام الذين أثاروا في الامام البخاري - تأثيراً مباشراً، ومنهم: يحيى بن معين (ت ٢٣٣هـ)، وعلي بن المديني (ت ٢٣٤هـ)، واسحاق بن راهويه (ت ٢٣٨هـ)، واحمد بن حنبل (ت ٢٤١هـ).

رابعاً: تلامذته ورواة صحيحه:

تتلمذ على يد الامام البخاري - منذ حداثة سنه واخذ عنه الحديث خلق كثير في كل بلدة مر بها، بعد أن اعترف له شيوخ عصره بسعة حفظه وجودة فهمه، وحثوا طلابهم على السماع منه فجلس للتحديث ولم يكن قد خرج شعر وجهه لصغر سنه^(٣).

ولا يمكننا في هذا المقام الا ان نذكر ابرز من روى عنه ومنهم: الرازيان، أبو زرعة (ت ٢٦٤هـ)، وأبو حاتم (ت ٢٧٧هـ)، وروى عنه من أصحاب الكتب الستة: مسلم (ت ٢٦١هـ) في غير الصحيح، والترمذي (ت ٢٧٩هـ) في جامعه، والنسائي (ت ٣٠٣هـ) على قول بعضهم، وروى عنه من غيرهم محمد بن نصر المروزي (ت ٢٩٤هـ)، وأبو بكر بن خزيمة (ت ٣١١هـ) صاحب الصحيح وغيرهم.

(١) ينظر: شذرات الذهب في أخبار من ذهب: ١/ ٢٤.

(٢) طبقات الحنابلة: ١/ ٢٧٥. تهذيب الكمال: ٤٤٥/٢٤.

(٣) ينظر: تاريخ بغداد: ١/ ١٥. شذرات الذهب في أخبار من ذهب: ١/ ٢٤.

ومن تلامذته ممن روى صحيحه: النسفيان: إبراهيم بن معقل (ت ٢٩٥هـ)، وحماد بن شاکر (ت ٣١١هـ)، ومحمد بن يوسف الفريزي (ت ٣٢٠هـ) وأبو طلحة منصور بن محمد بن علي البزدوي (ت ٣٢٩هـ) (١).
وصحيح الامام البخاري - متواتر عنه من رواية الفريزي (٢)، الذي كان يقول: سمع كتاب الصحيح لمحمد بن إسماعيل تسعون ألف رجل فما بقي أحد يروى عنه غيري (٣).
ورواه عن الفريزي خلائق منهم: أبو زيد المروزي (ت ٣٧١هـ) وأبو إسحاق المستملي (ت ٣٧٦هـ)، وأبو محمد السرخسي (ت ٣٨١هـ)، وأبو الهيثم محمد بن مكي الكشميهني (ت ٣٨٩هـ) وروى الصحيح عنهم جماعات (٤).

خامسا: آثاره العلمية

أولاً: آثاره المطبوعة

يمكن اجمال آثار الامام البخاري - - المطبوعة بما يأتي: الجامع الصحيح، التاريخ الكبير، الادب المفرد، التاريخ الأوسط-مطبوع خطأ باسم التاريخ الصغير- (٥)، الضعفاء الصغير، رفع اليدين في الصلاة، القراءة خلف الإمام، خلق أفعال العباد، الكنى-وقد طبع في ذيل التاريخ الكبير.

ثانياً: آثاره المخطوطة والمفقودة

١- آثاره المخطوطة: ذكر فؤاد سزكين مؤلفات الامام البخاري - - وعزا كل منها الى مكان جوده مخطوطا فلم نذكر منها ما هو مطبوع، وافردنا بالذكر هنا المخطوطات، وهي:

-
- (١) ينظر: تهذيب الكمال في أسماء الرجال ٢٤ / ٤٣٤-٤٣٧، وتاريخ الإسلام : ١٤١ / ٦، والبداية والنهاية: أبو الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير القرشي البصري ثم الدمشقي: ٣١/١١.
 - (٢) ماتمس اليه حاجة القاري لصحيح البخاري: محيي الدين أبي زكريا يحيى بن شرف النووي: ٢١.
 - (٣) تاريخ بغداد وذيوله : ٩/٢ ، وتهذيب الكمال في أسماء الرجال ٢٤ / ٤٤٣، وسير اعلام النبلاء: ٤٦٩/١٢.
 - (٤) ماتمس اليه حاجة القاري لصحيح البخاري: ٢١ ، والمدخل إلى صحيح البخاري: ١١١.
 - (٥) ينظر: مقدمة تحقيق التاريخ الأوسط : محمد بن إسماعيل بن إبراهيم بن المغيرة البخاري، أبو عبد الله (ت ٢٥٦هـ)، دراسة وتحقيق: محمد بن إبراهيم اللحيان: ٥٥-٥٨.

التاريخ الصغير، التاريخ في معرفة رواة الحديث ونقله الآثار والسنن وتمييز ثقافتهم من ضعفائهم. وتاريخ وفاتهم، التواريخ والانساب، التوحيد(العقيدة)، أخبار الصفات^(١).

٢- آثاره المفقودة: ذكر حاجي خليفة مصنفات للإمام البخاري-- نذكر منها ما لم يكن مطبوعا او مخطوطا وهذه المصنفات قد ذكرها العلماء قديما او اقتبسوا منها لكنها فقدت فيما بعد، وهي: اسماء الصحابة، بدء المخلوقات، بر الوالدين، الجامع الصغير في الحديث، الجامع الكبير في الحديث، الاشربة، الفوائد، الوجدان، الهبة، المبسوط في الحديث، المسند الكبير^(٢).

المطلب الثالث: أقوال العلماء في الامام البخاري --وتناءهم عليه:

لقد أثنى على الامام البخاري --علماء زمانه من شيوخه وأقرانه وتلاميذه، ومن اقوالهم فيه:

قول ابن حبان: "كان- البخاري- من خيار الناس ممن جمع وصنف ورحل وحفظ وذاكر وحث عليه، وكثرت عنايته بالأخبار وحفظه للآثار مع علمه بالتاريخ ومعرفة أيام الناس ولزوم الورع الخفي والعبادة الدائمة إلى أن مات رحمه الله"^(٣).

وقال عبد الله بن أحمد بن حنبل: سمعت أبي يقول: "ما أخرجت خراسان مثل محمد بن إسماعيل البخاري"^(٤).

وقد جمع ابن كثير أقوال ثلة من العلماء في الامام البخاري نذكر منها :

- ١- قال علي بن المديني: "لم ير البخاري مثل نفسه".
- ٢- قال إسحاق بن راهويه: "لو كان في زمن الحسن لاحتاج الناس إليه في الحديث ومعرفته وفقهه، وقال عن البخاري: هو أبصر مني".

(١) تاريخ التراث العربي: فؤاد سزكين: ١/٢٥٧-٢٥٩.

(٢) كشف الظنون عن أسامي الكتب والفنون: مصطفى بن عبد الله كاتب جليبي القسطنطيني المشهور باسم حاجي خليفة أو الحاج خليفة .

(٣) الثقات لابن حبان: ٥/٤٦٩ .

(٤) تاريخ بغداد: ٢/٢١، تهذيب الكمال: ٢٤/٤٥٦، سير أعلام النبلاء " ١٢/٤٢١.

٣- وقال أبو بكر بن أبي شيبة ومحمد بن عبد الله بن نمير: "ما رأينا مثله".

٤- قال أبو نعيم أحمد بن حماد: "هو فقيه هذه الأمة".

٥- قال أحمد بن حمدون القصار: "رأيت مسلم بن الحجاج جاء إلى البخاري فقبل بين عينيه وقال: دعني أقبل رجلك يا أستاذ الأستاذين، وسيد المحدثين، وطبيب الحديث في عله، ثم سأله عن حديث كفارة المجلس فذكر له عله، فلما فرغ قال مسلم لا يبغضك إلا حاسد، وأشهد أن ليس في الدنيا مثلك".

٦- قال الترمذي: "لم أر بالعراق ولا في خراسان في معنى العلل والتاريخ ومعرفة الأسانيد أعلم من البخاري، وكنا يوما عند عبد الله بن منير فقال للبخاري: جعلك الله زين هذه الأمة. قال الترمذي: فاستجيب له فيه".

٧- قال ابن خزيمة: "ما رأيت تحت أديم السماء أعلم بحديث رسول الله صلى الله عليه وسلم ولا أحفظ له من محمد بن إسماعيل البخاري"،

ثم قال ابن كثير بعد ذكر هذه الأقوال وغيرها: ولو استقصينا ثناء العلماء عليه في حفظه وإتقانه وعلمه وفقهه وورعه وزهده وعبادته لطال علينا^(١).

ومما يعرف به فضل الانسان بعد الثناء عليه وذكر مآثره وخصاله، ما كان من رؤى الصالحين فيه في المنام، سيما وان كان سيدنا النبي ﷺ في تلك الرؤى، فهذه هي اصدق الرؤى على الاطلاق، وقد ذكر المزي في هذا الباب عدة رؤى منها:

ما روي عن محمد بن يوسف الفربري انه قال: "رأيت النبي ﷺ في النوم فقال لي: أين تريد؟ فقلت: أريد محمد بن إسماعيل البخاري. فقال: أقرئه مني السلام".

وروي عنه ايضا انه قال: "سمعت النجم بن فضيل وكان من أهل الفهم يقول: رأيت النبي صلى الله عليه وسلم في المنام خرج من قرية ماستين ومحمد بن إسماعيل خلفه، فكان النبي صلى الله عليه وسلم إذا خطا خطوة يخطو محمد ويضع قدمه على خطوة النبي صلى الله عليه وسلم ويتبع أثره"^(٢).

(١) البداية والنهاية: أبو الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير القرشي البصري الدمشقي: ٣٢/١١ - ٣٢.

(٢) تهذيب الكمال في أسماء الرجال ٤٤٤/٢٤ - ٤٤٥.

ففي هاتين الروايتين عن الفربري تلميذ الامام البخاري - ورواية صحيحة تتبين مكانة الامام البخاري - - وفضله وفيها اجمل الثناء وأعلاه.

المبحث الثاني: الجامع الصحيح للامام البخاري

المطلب الأول: تدوين الحديث قبل الامام البخاري -

قبل الشروع في الحديث عن الجامع الصحيح للامام البخاري - لا بد من التحدث بإجمال عن اهتمام المسلمين بتدوين السنة - من لدن الصحابة - وجدوى تدوينها وزمنه، ففلاهمية العظمى للسنة كونها المصدر التشريعي الثاني بعد القران الكريم ومنزلتها منه كونها مفصلة لمجمله وموضحة لمشكله..، ولقوله تعالى: ﴿ وَأَنْزَلْنَا إِلَيْكَ الذِّكْرَ لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيْهِمْ وَلَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ ﴾ (١)

أدرك الصحابة هذه المنزلة وتلك الأهمية لسنة النبي ﷺ القولية والفعلية فحفظوها وتدارسوها وبلغوها سيما وانه ﷺ حثهم على تبليغ ماسمعه من العلم (٢) فقال ﷺ : "لِيُبَلِّغَ الشَّاهِدُ الْعَائِبَ، فَإِنَّ الشَّاهِدَ عَسَى أَنْ يَبْلُغَ مَنْ هُوَ أَوْعَى لَهُ مِنْهُ" (٣).

فجدد الصحابة رضي الله عنهم في تلقي العلم من رسول الله ﷺ وملازمته لتحصيله، وإن فاتهم شيء من حديثه كانوا يسألون عنه اخوانهم ممن حضر فيبلغونهم به.

وكان اعتمادهم في التلقي والتبليغ على الحفظ لا الكتابة لدقة حفظهم وسيلان اذهانهم ولانهم كانوا قد نهوا عن ذلك كما ثبت في صحيح مسلم عن أبي سعيد الخدري؛ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ "لا تكتبوا عني. ومن كتب عني غير القرآن فليمحاه" (٤).

قال الخطيب البغدادي: "أن كراهة من كره الكتاب من الصدر الأول إنما هي لئلا يضاهاى بكتاب الله تعالى غيره، أو يشتغل عن القرآن بسواه" (١)

(١) سورة النحل من الآية: ٤٤ .

(٢) ينظر: الكتب الصحاح الستة: محمد محمد أبو شهبه: ١١-١٤ و ٢٠-٢٥.

(٣) صحيح البخاري: محمد بن إسماعيل البخاري، كتاب العلم، باب قول النبي صلى الله عليه وسلم رب مبلغ أوعى من سامع، ح رقم (٦٧): ١ / ٢٤.

(٤) صحيح مسلم: أبو الحسين، مسلم بن الحجاج القشيري النيسابوري، كتاب الزهد والرقائق، باب التثبت في الحديث، وحكم كتابة العلم، ح رقم (٣٠٠٤): ٤ / ٢٢٩٨. ينظر: هدي الساري مقدمة فتح الباري: ١ / ٦.

ثم أذن للصحابة بالكتابة فقد سأل رجل النبي ﷺ وهو يخطب ان يكتب له واذن النبي ﷺ له بذلك، والحديث رواه البخاري في صحيحه عن أبي هريرة الشاهد فيه: «فَجَاءَ رَجُلٌ مِنْ أَهْلِ الْيَمَنِ فَقَالَ: اكْتُبْ لِي يَا رَسُولَ اللَّهِ. فَقَالَ: "اَكْتُبُوا لِأَبِي فَلَانَ"، فَقِيلَ لِأَبِي عَبْدِ اللَّهِ-أَيِ الْإِمَامِ الْبُخَارِيِّ --: أَيُّ شَيْءٍ كَتَبَ لَهُ؟ قَالَ: كَتَبَ لَهُ هَذِهِ الْخُطْبَةَ^(٢).

قال الخطابي: "وفي قوله: اكتب لي يا رسول الله، وأمره بأن يكتب له دليل على أن كتابة الحديث غير مكروهة، وأن النهي عن كتاب شيء غير القرآن منسوخ"^(٣).

وروى البخاري أيضا عن ابي هريرة رضي الله عنه قوله: "مَا مِنْ أَصْحَابِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَحَدٌ أَكْثَرَ حَدِيثًا عَنْهُ مِنِّي، إِلَّا مَا كَانَ مِنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَمْرٍو، فَإِنَّهُ كَانَ يَكْتُبُ وَلَا أَكْتُبُ"^(٤).

وهذا الحديث يبين انه رغم جواز كتابة الحديث فانه لم يكن الكل يكتب بل ان معظم الصحابة % كانوا يعتمدون على حفظهم كما هي سليقتهم وعاداتهم الأولى.

ثم ان عمر بن عبد العزيز رضي الله عنه خاف أن يذهب العلم بذهاب اهله لكونه حبيس صدورهم فأمر أبا بكر بن حزم أن يدونه، وهذا الاثر أورده الامام البخاري - في ترجمة باب كيف يقبض العلم: "وكتب عمر بن عبد العزيز إلى أبي بكر بن حزم انظر ما كان من حديث رسول الله صلى الله عليه وسلم فاكتبه؛ فإني خفت دروس العلم وذهاب العلماء، ولا تقبل إلا حديث النبي صلى الله عليه وسلم، ولتقشوا العلم، ولتجلسوا؛ حتى يعلم من لا يعلم، فإن العلم لا يهلك حتى يكون سرا"^(٥).

قال ابن حجر: "قوله فاكتبه يستفاد منه ابتداء تدوين الحديث النبوي وكانوا قبل ذلك يعتمدون على الحفظ فلما خاف عمر بن عبد العزيز وكان على رأس المائة الأولى من ذهاب العلم بموت العلماء رأى أن في تدوينه ضبطا له وإبقاء"^(٦).

(١) تقييد العلم: أبو بكر أحمد بن علي بن ثابت بن أحمد بن مهدي الخطيب البغدادي: ٥٧.

(٢) صحيح البخاري، كتاب العلم، باب كتابة العلم، ح رقم(١١٢): ٣٣ / ١ .

(٣) أعلام الحديث: أبو سليمان حمد بن محمد الخطابي: ٢١٦ / ١ .

(٤) صحيح البخاري، كتاب العلم، باب كتابة العلم، ح رقم(١١٣): ٣٤ / ١ .

(٥) المصدر السابق: ٣١ / ١ .

(٦) فتح الباري: أحمد بن علي بن حجر أبو الفضل العسقلاني: ١٩٤ / ١ .

واستمر التدوين منذ ذلك الوقت وتتابع التصنيف، فصنف المحدثون كلَّ في فن بما سمعوه مسندا من مشايخهم، ثم جاء الامام البخاري - فأحاط بما كُتِب قبله من المصنفات واطَّلَع عليها وحفظها، قال الدهلوي: "أول ما صنف أهل الحديث في علم الحديث جعلوه مدونا في أربعة فنون: فن السنة؛ أعني الذي يقال له: الفقه مثل موطأ مالك وجامع سفيان، وفن التفسير مثل كتاب ابن جريج، وفن السير مثل كتاب محمد بن إسحاق، وفن الزهد والرقاق مثل كتاب ابن المبارك.

فأراد البخاري رحمه الله أن يجمع الفنون الأربعة في كتاب، ويجرده لما حكم له العلماء بالصحة قبل البخاري وفي زمانه، ويجرده للحديث المرفوع المسند...، ولهذا سمي كتابه بالجامع الصحيح المسند (١).

قال ابن حجر: "فلما رأى البخاري رضي الله عنه هذه التصانيف ورواها وانتشق رباها واستجلى محياها وجدها بحسب الوضع جامعة بين ما يدخل تحت التصحيح والتحسين والكثير منها يشملها التضعيف..، فحرك همته لجمع الحديث الصحيح" (٢).

المطلب الثاني: سبب تصنيفه للصحيح وحاله عند التصنيف والزمن الذي استغرقه:

أولاً: سبب تصنيفه للصحيح: اشرنا آنفا الى أن الامام البخاري - أراد جمع الصحيح لما رأى التصانيف التي سبقته قد جمعت مع الصحيح الحسن والضعيف فكانت الحاجة ماسة لمصنف يجمع صحيح الحديث فتصدى هو - لذلك، ووردت روايتان في السبب الذي ألهم الامام البخاري - بتصنيف الجامع الصحيح:

الرواية الأولى: ما نقل عنه انه قال: كنت عند إسحاق بن راهويه فقال لنا بعض أصحابنا لو جمعتم كتابا مختصرا لسنن النبي صلى الله عليه وسلم فوقع ذلك في قلبي، فأخذت في جمع هذا الكتاب- يعني كتاب الجامع (٣).

(١) شرح تراجم أبواب صحيح البخاري: أحمد بن عبد الرحيم المعروف بـ الشاه ولي الله الدهلوي: ١

(٢) هدي الساري مقدمة فتح الباري: ١ / ٦.

(٣) تاريخ بغداد وذيوله: ٨ / ٢ . تهذيب الكمال في أسماء الرجال ٢٤ / ٤٤٢ .

الثانية: ما روي عنه أنه قال: رأيت النبي ﷺ وكأني واقف بين يديه، وبيدي مروحة أذب عنه، فسألت بعض المعبرين، فقال لي: أنت تذب عنه الكذب، فهو الذي حملني على إخراج الصحيح^(١).

فلاجماع هذين السببين مع الحاجة لمصنف يتضمن صحيح الحديث شرع الامام البخاري - في تصنيف جامع الصحيح.

ثانيا: حاله عند تصنيف الصحيح:

كان الامام البخاري - مع جودة حفظه وحدة ذهنه لا يغفل عن طلب التوفيق والاعانة من ربه الكريم ، فكان يتحرى مع السعي الجسماني والمادي في طلب الحديث وتجشم عناء الاسفار في تحصيله، ومع السعي العقلي والفكري في السماع والتدوين والتدقيق والمدارسة والمراجعة، لم يغفل عن السعي القلبي والايماي فكان يتحرى الأماكن الفاضلة والاقوات الفاضلة والاعمال الفاضلة اثناء تصنيفه للصحيح وتبويضه، فقد روي عنه انه قال: "صنفت كتابي الجامع في المسجد الحرام وما أدخلت فيه حديثا حتى استخرت الله تعالى وصليت ركعتين وتيقنت صحته"^(٢).

وروي عن محمد بن يوسف الفربري انه قال: قال لي محمد بن إسماعيل البخاري: ما وضعت في كتاب الصحيح حديثا إلا اغتسلت قبل ذلك وصليت ركعتين.

وروي عن عبد القدوس بن همام انه قال: سمعت عدة من المشايخ يقولون: حول محمد بن إسماعيل البخاري تراجم جامع بين قبر النبي ﷺ ومنبره، وكان يصلى لكل ترجمة ركعتين^(٣).

ثالثا: الزمن الذي استغرقه في تصنيف الصحيح:

استغرق الامام البخاري - ست عشرة سنة في تصنيف الجامع الصحيح وتبويبه وتنقيحه وتهذيبه، وعرف ذلك من قوله - : "صنفت كتابي الصحيح لست عشرة سنة، خرجته من ستمائة ألف حديث، وجعلته حجة فيما بيني وبين الله تعالى"^(٤).

(١) الكمال في أسماء الرجال: أبو محمد عبد الغني بن عبد الواحد المقدسي: ١٣٧/٢.

(٢) هدي الساري مقدمة فتح الباري: ٤٨٩.

(٣) تاريخ بغداد وذيوله : ١٠-٩/٢ ، والتعديل والتجريح لمن خرج له البخاري في الجامع الصحيح: أبو الوليد سليمان بن خلف القرطبي الباجي الأندلسي: ٣١٠/١ ، وتهذيب الكمال في أسماء الرجال ٤٤٣ / ٢٤ .

(٤) تاريخ بغداد وذيوله : ١٤/٢ ، وطبقات الحنابلة : ٢٧٦/١ ، وتهذيب الكمال في أسماء الرجال ٤٤٣ / ٢٤ .

ثم عرضه على كبار محدثي عصره فأقروا لما كتب بالصحة، نقل ابن حجر عن العقيلي قوله: "لما ألف البخاري كتاب الصحيح عرضه على أحمد بن حنبل ويحيى بن معين وعلى بن المديني وغيرهم فاستحسنوه وشهدوا له بالصحة الا في أربعة أحاديث، قال العقيلي والقول فيها قول البخاري وهي صحيحة"^(١).

وعلى هذا فلا بدّ إذن أن تأليف الجامع الصحيح قد تم قبل وفاة مصنفه بثلاثة وعشرين عاما على الأقل، وهكذا استطاع آلاف المستمعين في حلقات الدرس سماع الكتاب كله أو بعضه^(٢).

المطلب الثالث: تسمية الصحيح وشرطه فيه:

سمى الامام البخاري - كتابه ب(الجامع الصحيح المسند المختصر من أمور رسول الله ﷺ وسننه وأيامه)، وعرف بين الناس مختصرا باسم صحيح البخاري، ومن اسم المصنف - لكتابيه يتبين فيه شرطه لذا كان لا بد من تفصيل اسم الكتاب لبيان مقصده منه.

الجامع: قصد الامام البخاري - عندما سمي كتابه: (الجامع) معنى دقيقا متعلقا بفنون الحديث، ذلك أن الكتب قبله كانت مقتصرة غالبا على فنون خاصة من الحديث، فأدخل البخاري جميع الفنون في كتابه، فصار لذلك جامعا. وكانت هذه الفنون - كما قدمنا - أربعة وهي: فن السنة ويراد بها الفقه، ولذلك اقتضت كتب السنن عليه .. وفن التفسير، وفن السير، وفن الزهد والرقائق^(٣).

قال ابن حجر: "فعرفنا بقوله: (الجامع) أنه لم يختص بصنف دون صنف، ولهذا أورد فيه الأحكام والفضائل، والأخبار المحضة عن الأمور الماضية والأمور الآتية، وغير ذلك من الآداب والرقائق"^(٤).

لكن جامع البخاري لم يكن أول كتاب جامع، فقد سبق الامام البخاري - في استعمال كلمة الجامع في العنوان جماعة من المحدثين، ألفوا كتبنا بهذا العنوان، منهم: معمر بن راشد وسفيان

(١) هدي الساري: ٧ / ١.

(٢) ينظر: تاريخ التراث العربي: ٢٢٦ / ١.

(٣) ينظر: المدخل إلى صحيح البخاري: ٧٣.

(٤) النكت على صحيح البخاري: أبو الفضل ابن حجر العسقلاني: ٧٥ / ١.

الثوري وعبد الله بن وهب وسفيان بن عيينة، وأولية الامام البخاري - هي في التزام الصحيح من الحديث^(١).

الصحيح: شرط الامام البخاري - في جامعه الصحة وصرح بهذا الشرط فقد نقل عنه انه قال: ما أدخلت في «كتاب الجامع» إلا ما صح، وتركت من الصحاح لحال الطول^(٢).

قال ابن حجر: "قوله: (الصحيح) أنه ليس فيه شيء ضعيف عنده،.. -و- الصحيح عنده وعند غيره:- وهو أن يكون الإسناد متصلاً، وأن يكون كل من رواه عدلاً، وأن يكون موصوفاً بالضبط، فإن قصر احتاج إلى ما يجبر ذلك التقصير، ويكون الحديث مع ذلك قد خلا من أن يكون معلولاً -أي: فيه علة خفية قاذحة-، أو أن يكون شاذاً -أي: خالف روايه من هو أكثر عدداً منه أو أشد ضبطاً مخالفة تستلزم التنافي ويتعذر معها الجمع الذي لا يكون متعسفاً^(٣).

المسند: وبقوله: (المسند) أن مقصوده الأصلي: تخريج الأحاديث التي اتصل إسنادها ببعض الصحابة عن النبي - صلى الله عليه وسلم -، سواء كانت من قول النبي ﷺ أو فعله أو تقريره، وأن ما وقع في الكتاب مما يخالف ذلك؛ إنما وقع فيه تبعا وعرضا لا أصلاً مقصوداً، فهذا ما عرف من كلامه^(٤).

المختصر: وشرط الامام على نفسه مع ايراد الصحيح الاختصار في كتابه، فانه قد انتخب احاديث الصحيح من احاديث كثيرة منها ما يصح ومنها ما لا يصح: فقد روي عنه رحمه الله قوله: صنفت كتابي الصحيح لست عشرة سنة، خرجته من ستمائة ألف حديث، وجعلته حجة فيما بيني وبين الله تعالى^(٥). وروي عنه أيضا قوله: لم أخرج في الكتاب إلا صحيحا. قال: وما تركت من الصحيح أكثر^(٦).

(١) المدخل إلى صحيح البخاري: ٧٤.

(٢) تاريخ بغداد وذيوله: ٩/٢ ، والتعديل والتجريح لمن خرج له البخاري في الجامع الصحيح: ٣٠٩/١-٣١٠.

(٣) النكت على صحيح البخاري: ٧٥-٧٦.

(٤) المصدر السابق: ٧٥-٧٧.

(٥) تاريخ بغداد وذيوله: ١٤/٢ ، وطبقات الحنابلة: ٢٧٦/١ ، وتهذيب الكمال في أسماء الرجال ٢٤/٤٤٣.

(٦) سير اعلام النبلاء: ٤٧١/١٢.

نقل ابن حجر عن الإسماعيلي قوله في ذلك "لأنه لو أخرج كل صحيح عنده لجمع في الباب الواحد حديث جماعة من الصحابة ولذكر طريق كل واحد منهم إذا صحت فيصير كتابا كبيرا جدا"^(١).

من أمور رسول الله صلى الله عليه وسلم وسننه وأيامه: أي ليس اقتصاره فيها على الأقوال بل تطرق أيضا لأفعاله ﷺ وسيرته وملابساته حياته، وكل ذلك صحيحا منتخبا من روايات كثيرة، ليجمع الصحيح بذلك الخير الكثير في كل ما يتعلق بالنبي ﷺ .

المطلب الرابع: مكانة الصحيح وطريقة تصنيفه وعدد كتبه وابوابه واحاديثه:

وفي بيان مكانة الصحيح قال الإسماعيلي أيضا في المدخل له فيما نقله عنه ابن حجر: " أما بعد فإنني نظرت في كتاب الجامع الذي ألفه أبو عبد الله البخاري فرأيتة جامعا كما سمي لكثير من السنن الصحيحة ودالا على جمل من المعاني الحسنة المستنبطة التي لا يكمل لمثلها الا من جمع إلى معرفة الحديث نقلته والعلم بالروايات وعللها علما بالفقه واللغة وتمكنا منها كلها وتبحرا فيها وكان يرحمه الله الرجل الذي قصر زمانه على ذلك فبرع وبلغ الغاية فحاز السبق وجمع إلى ذلك حسن النية والقصد للخير فنفعه الله ونفع به.

وقد نحا نحوه في التصنيف جماعة.. غير أن أحدا منهم لم يبلغ من التشدد مبلغ أبي عبد الله ولا تَسَبَّبَ إلى استنباط المعاني واستخراج لطائف فقه الحديث وتراجم الأبواب الدالة على ما له وَضَلَّةٌ بالحديث المروي فيه تَسَبُّبُهُ ولله الفضل يختص به من يشاء"^(٢).

وقال ابن الصلاح: "أول من صنف الصحيح البخاري أبو عبد الله محمد بن إسماعيل الجعفي مولاهم. وتلاه أبو الحسين مسلم بن الحجاج، ومسلم - مع أنه أخذ عن البخاري واستفاد منه - يشاركه في أكثر شيوخه. وكتاباهما أصح الكتب بعد كتاب الله العزيز ثم إن كتاب البخاري أصح الكتابين صحيحا، وأكثرهما فوائد"^(٣).

وقد صنف الامام البخاري - صحيحه على الكتب والابواب فاشتمل صحيحه على سبع وتسعون كتابا في كل كتاب أبواب مجموعها في الصحيح كله (٣٩٣١) حسب الطبعة الاميرية، وفي تلك

(١) هدي الساري مقدمة فتح الباري : ٧.

(٢) هدي الساري مقدمة فتح الباري: ١١.

(٣) معرفة أنواع علوم الحديث=مقدمة ابن الصلاح: عثمان بن عبد الرحمن، أبو عمرو، تقي الدين المعروف بابن الصلاح: ١٧-١٨.

الأبواب احاديث وقد تخلو بعض الأبواب من الاحاديث، ومجموع الاحاديث الكلي في الصحيح (٧٥٦٣) حسب الطبعة المذكورة.

وقد عني العلماء بالصحيح منذ تصنيفه رواية وشرحا وتصنيفا لغرائبه وترجمة لشيوخته وعناية بتراجم ابوابه وقد عد سزكين من هذه المصنفات فيما يقرب ١٣٠ مصنفا كلها لخدمة هذا السفر العظيم الذي حوى كلام من لاينطق عن الهوى ﷺ (١).

(١) ينظر: تاريخ التراث العربي: ٢٢٦-٢٥٦.

مصادر البحث

القرآن الكريم

- ١- أعلام الحديث (شرح صحيح البخاري): أبو سليمان حمد بن محمد الخطابي (ت ٣٨٨ هـ)، المحقق: د. محمد بن سعد بن عبد الرحمن آل سعود، جامعة أم القرى (مركز البحوث العلمية وإحياء التراث الإسلامي)، الطبعة: الأولى، ١٤٠٩ هـ - ١٩٨٨ م.
- ٢- الإكمال في رفع الارتباب عن المؤلف والمؤلف في الأسماء والكنى والأنساب: سعد الملك، أبو نصر علي بن هبة الله بن جعفر بن ماکولا (المتوفى: ٤٧٥ هـ)، دار الكتب العلمية - بيروت - لبنان، الطبعة الأولى، ١٤١١ هـ - ١٩٩٠ م.
- ٣- الامام البخاري وصحيحه: عبد الغني عبد الخالق، دار المنارة - جدة، الطبعة الأولى، ١٤٠٥ هـ - ١٩٨٥ م.
- ٤- أنيس الفقهاء في تعريفات الألفاظ المتداولة بين الفقهاء: قاسم بن عبد الله بن أمير علي القنوي الرومي الحنفي (ت ٩٧٨ هـ)، تحقيق: يحيى حسن مراد، دار الكتب العلمية، د. ط، ٢٠٠٤ م - ١٤٢٤ هـ.
- ٥- البداية والنهاية: أبو الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير القرشي البصري ثم الدمشقي (المتوفى: ٧٧٤ هـ)، تحقيق: علي شبري، دار إحياء التراث العربي، ط ١، ١٤٠٨ هـ - ١٩٨٨ م.
- ٦- تاريخ الإسلام ووفيات المشاهير والأعلام: شمس الدين أبو عبد الله محمد بن أحمد بن عثمان بن قايماز الذهبي (ت ٧٤٨ هـ)، المحقق: الدكتور بشار عواد معروف، دار الغرب الإسلامي، ط ١، ٢٠٠٣ م.
- ٧- التاريخ الأوسط: محمد بن إسماعيل بن إبراهيم بن المغيرة البخاري، أبو عبد الله (ت ٢٥٦ هـ)، دراسة وتحقيق: محمد بن إبراهيم اللحيان، دار الصميعة للنشر والتوزيع - الرياض، الطبعة الأولى، ١٤١٨ هـ - ١٩٩٨ م.
- ٨- تاريخ التراث العربي: فؤاد سزكين، إدارة الثقافة والنشر بجامعة الامام محمد بن سعود - السعودية، د. ط، ١٤١١ هـ - ١٩٩١ م.
- ٩- التاريخ الكبير: محمد بن إسماعيل بن إبراهيم بن المغيرة البخاري، أبو عبد الله (ت ٢٥٦ هـ)، دائرة المعارف العثمانية، حيدر آباد - الدكن، طبع تحت مراقبة: محمد عبد المعيد خان، د. ط، د. ت.
- ١٠- تاريخ بغداد وذيوله: أبو بكر أحمد بن علي بن ثابت بن أحمد بن مهدي الخطيب البغدادي (المتوفى: ٤٦٣ هـ)، دراسة وتحقيق: مصطفى عبد القادر عطا، دار الكتب العلمية - بيروت، الطبعة: الأولى، ١٤١٧ هـ.
- ١١- التعديل والتجريح، لمن خرج له البخاري في الجامع الصحيح: أبو الوليد سليمان بن خلف بن سعد بن أيوب بن وارث التجيبي القرطبي الباجي الأندلسي (المتوفى: ٤٧٤ هـ)، المحقق: د. أبو لياثة حسين، دار اللواء للنشر والتوزيع - الرياض، الطبعة: الأولى، ١٤٠٦ هـ - ١٩٨٦ م.

- ١٢- التقريب والتيسير لمعرفة سنن البشير النذير في أصول الحديث: أبو زكريا محيي الدين يحيى بن شرف النووي (ت ٦٧٦هـ)، تحقيق: محمد عثمان الخشت، دار الكتاب العربي-بيروت، الطبعة: الأولى، ١٤٠٥ هـ - ١٩٨٥ م.
- ١٣- تقييد العلم للخطيب البغدادي: أبو بكر أحمد بن علي بن ثابت بن أحمد بن مهدي الخطيب البغدادي (ت ٤٦٣هـ)، إحياء السنة النبوية - بيروت، د.ط، د.ت.
- ١٤- تهذيب الأسماء واللغات: أبو زكريا محيي الدين يحيى بن شرف النووي (المتوفى: ٦٧٦ هـ)، دار الفكر-بيروت، الطبعة الأولى، ١٩٩٦ م.
- ١٥- تهذيب الكمال في أسماء الرجال: يوسف بن عبد الرحمن بن يوسف، أبو الحجاج، جمال الدين ابن الزكي أبي محمد القضاعي الكلبي المزني (ت ٧٤٢هـ)، المحقق: د. بشار عواد معروف، مؤسسة الرسالة - بيروت، الطبعة: الأولى، ١٤٠٠ - ١٩٨٠.
- ١٦- الثقات: محمد بن حبان بن أحمد بن حبان بن معاذ بن مَعْبُد، التميمي، أبو حاتم، الدارمي، البُستي (ت ٣٥٤ هـ)، دائرة المعارف العثمانية بحيدر آباد- الدكن الهند، الطبعة: الأولى، ١٣٩٣ هـ = ١٩٧٣.
- ١٧- الجامع الصحيح المسند المختصر من أمور رسول الله ﷺ وسننه وأيامه=صحيح البخاري: أبو عبد الله محمد بن إسماعيل البخاري الجعفي (ت ٢٥٦هـ)، المحقق: د. مصطفى ديب البغا، (دار ابن كثير، دار اليمامة) - دمشق، الطبعة: الخامسة، ١٤١٤ هـ - ١٩٩٣ م.
- ١٨- حياة البخاري: محمد جمال الدين القاسمي، تحقيق: محمود الأرنؤوط، دار النفائس-بيروت، الطبعة الأولى، ١٤١٢هـ-١٩٩٢م.
- ١٩- سنن أبي داود: أبو داود سليمان بن الأشعث بن إسحاق بن بشير بن شداد بن عمرو الأزدي السجستاني (ت ٢٧٥هـ)، المحقق: محمد محيي الدين عبد الحميد، المكتبة العصرية، صيدا - بيروت، د.ط، د.ت.
- ٢٠- سير أعلام النبلاء: شمس الدين أبو عبد الله محمد بن أحمد بن عثمان بن قَائِمِاز الذهبي (ت ٧٤٨هـ)، تحقيق: مجموعة من المحققين بإشراف الشيخ شعيب الأرنؤوط، مؤسسة الرسالة، ط ٣، ١٤٠٥ هـ / ١٩٨٥ م .
- ٢١- شذرات الذهب في أخبار من ذهب: عبد الحي بن أحمد بن محمد ابن العماد العكري الحنبلي، أبو الفلاح (ت ١٠٨٩هـ)، تحقيق: محمود الأرنؤوط، دار ابن كثير، دمشق - بيروت، الطبعة: الأولى، ١٤٠٦ هـ - ١٩٨٦ م.
- ٢٢- شرح تراجم أبواب صحيح البخاري: أحمد بن عبد الرحيم المعروف بـ الشاه ولي الله الدهلوي (ت ١١٧٦هـ)، دار المعارف النظامية- الهند، د.ط، ١٣٢٣ هـ.
- ٢٣- طبقات الحنابلة: أبو الحسين محمد ابن أبي يعلى (ت ٥٢٦هـ)، وقف على طبعه وصححه: محمد حامد الفقي، مطبعة السنة المحمدية، القاهرة، د.ط، د.ت.

- ٢٤- طبقات الشافعية الكبرى: تاج الدين عبد الوهاب بن تقي الدين السبكي (ت ٧٧١هـ)، المحقق: د. محمود محمد الطناحي د. عبد الفتاح محمد الحلو، هجر للطباعة والنشر والتوزيع، الطبعة: الثانية، ١٤١٣هـ.
- ٢٥- فتح الباري شرح صحيح البخاري: أحمد بن علي بن حجر أبو الفضل العسقلاني الشافعي، دار المعرفة - بيروت، ١٣٧٩، ترقيم: محمد فؤاد عبد الباقي، د.ط، د.ت.
- ٢٦- الكتب الصحاح الستة: محمد محمد أبو شهبه، مجمع البحوث الإسلامية، السنة السادسة والعشرون-الكتاب الثالث، ١٣١٥هـ - ١٩٩٥م.
- ٢٧- كشف الظنون عن أسامي الكتب والفنون: مصطفى بن عبد الله كاتب جلبي القسطنطيني المشهور باسم حاجي خليفة أو الحاج خليفة (ت ١٠٦٧هـ)، مكتبة المثنى - بغداد، د.ط، ١٩٤١م.
- ٢٨- الكليات معجم في المصطلحات والفروق اللغوية: أيوب بن موسى الحسيني القريمي الكفوي، أبو البقاء الحنفي (ت ١٠٩٤هـ)، تحقيق: عدنان درويش - محمد المصري، مؤسسة الرسالة - بيروت، د.ط، د.ت.
- ٢٩- الكمال في أسماء الرجال: أبو محمد عبد الغني بن عبد الواحد المقدسي (ت ٦٠٠هـ)، دراسة وتحقيق: شادي بن محمد بن سالم آل نعمان، شركة غراس للدعاية والإعلان والنشر والتوزيع، الكويت، الطبعة: الأولى، ١٤٣٧هـ - ٢٠١٦م.
- ٣٠- ما تمس إليه حاجة القاري لصحيح الامام البخاري: محيي الدين أبي زكريا يحيى بن شرف النووي (ت: ٦٧٦هـ)، تحقيق: علي حسن علي عبد الحميد، دار الكتب العلمية-بيروت، د.ط، د.ت.
- ٣١- المدخل إلى صحيح البخاري: محمد أبو الهدى اليعقوبي، دار توقيعات - لندن - المملكة المتحدة، الطبعة: الأولى، ١٤٤٠هـ - ٢٠١٩م.
- ٣٢- المسند الصحيح المختصر من السنن بنقل العدل عن العدل إلى رسول الله ﷺ = صحيح مسلم: أبو الحسين مسلم بن الحجاج القشيري النيسابوري (٢٠٦ - ٢٦١هـ)، المحقق: محمد فؤاد عبد الباقي، مطبعة عيسى البابي الحلبي وشركاه- القاهرة، ١٣٧٤هـ - ١٩٥٥م.
- ٣٣- معجم البلدان: شهاب الدين أبو عبد الله ياقوت بن عبد الله الرومي الحموي (ت ٦٢٦هـ)، دار صادر، بيروت، الطبعة: الثانية، ١٩٩٥م.
- ٣٤- معجم مقاييس اللغة: أحمد بن فارس بن زكرياء القزويني الرازي، أبو الحسين (ت ٣٩٥هـ)، تحقيق: عبد السلام محمد هارون، دار الفكر، د.ط، ١٣٩٩هـ - ١٩٧٩م.
- ٣٥- معرفة أنواع علوم الحديث، ويُعرف بمقدمة ابن الصلاح: عثمان بن عبد الرحمن، أبوعمر، تقي الدين المعروف بابن الصلاح (ت ٦٤٣هـ)، المحقق: نور الدين عتر، دار الفكر - سوريا، دار الفكر المعاصر - بيروت، ١٤٠٦هـ - ١٩٨٦م.
- ٣٦- معرفة علوم الحديث: أبو عبد الله الحاكم محمد بن عبد الله بن محمد بن حمدويه بن نُعيم بن الحكم الضبي الطهماني النيسابوري المعروف بابن البيع (ت ٤٠٥هـ)، المحقق: السيد معظم حسين، دار الكتب العلمية - بيروت، الطبعة: الثانية، ١٣٩٧هـ - ١٩٧٧م.

٣٧- موسوعة سفير للتاريخ الإسلامي: عبد الشافي محمد عبد اللطيف، شركة سفير - القاهرة،

د.ط، ١٩٩٦م.

٣٨- النكت على صحيح البخاري: أبو الفضل ابن حجر العسقلاني(ت:٨٥٢هـ)، المحقق: أبو

الوليد هشام بن علي السعيدني، أبو تميم نادر مصطفى محمود، المكتبة الإسلامية للنشر والتوزيع،

القاهرة - مصر، الطبعة: الأولى، ١٤٢٦ هـ - ٢٠٠٥ م.